وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

محاضرات السداسي الرابع في مادة العقيدة الإسلامية

السنة الثانية أصول الدين

إعداد الدكتور: زهير بن كتفي

مدخل إلى السمعيات

أولا: تعريف السمعيات والغيبيات:

1- السمعيات:

أ- تعريف السمعيات لغة: السمعيات جمع "سمعية"، وهي كلمة منسوبة إلى السَّمْعِ من سمع يسمع سمعاً، قال الخليل ابن أحمد في معجم العين: "السَّمْعُ: الأُذُن"، وقال ابن منظور في لسان العرب: "السمع: حس الأذن. وفي التنزيل: ((**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**))[ق:37]".

ب- تعريف السمعيات اصطلاحاً: والمعنى الاصطلاحي للكلمة قريب من هذا لأن السمعيات عند علماء العقيدة هي أمور تتوقف معرفتها على السمع، فعرفها السفاريني (ت1188هـ) مثلا في كتابه لوامع الأنوار البهية بـ "ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال".

وبناء عليه فالسمعيات أمور غيبية لا يستطييع العقل وحده أن يستقل بمعرفتها أو إدراكها، جاءت بها النصوص الشرعية السمعية، كعذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير والبعث والحوض والميزان وغير ذلك مما ورد به السمع، أي الشرع.

وتعرف السمعيات أيضاً باسم آخر هو الغيبيات، فهما اسمان مترادفان لمعنى واحد.

2- الغيبيات:

أ- تعريف الغيبيات لغة: الغيب يدل على تسترّ الشيء عن العيون. فهو كل ما غاب عن الأعين وغير مشاهد. "ومن ذلك الغيب، ما غاب مما لا يعلمه إلا الله تعالى. ويقال غابت الشمس تغيب غَيْبَة وغيوباً وغيباً"، أي استترت وراء الأفق.

وبناء عليه فالغيب لغة يستعمل في كل غائبة عن تغيب عن الحواس فهي غيب بالنسبة إلى الإنسان.

ب- تعريف الغيبيات اصطلاحا: "الغيبيات هي كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني".

وإذاً كل مالا يقع تحت الحواس، وما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني دون العقل فهو من الغيبيات.

ثانياً: الغيب حقيقة وجودية

درجت الإنسانية منذ فجر التاريخ على الإيمان بوجود أمور غيبية وراء عالم الشهادة المحسوس، ولما كان البشر في حاجة إلى معرفة تفاصيل عن هذا الغيب الذي يحيط بهم وتتجلى لهم بعض آثاره، فإن الله تعالى أرسل

من ينبئهم ويظهرهم على ما يشاء من غيبه. قال تعالى: ((**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**))[النساء:165].

فكل اعتقاد ديني سماوي أو غير سماوي يقوم على أساس الإيمان بغيب يحار العقل عن إدراك تفاصيله وماهيته، ولكنه يشعر بسيطرته وقوته في نفسه، وقد نبّه على هذه الحقيقة الوجودية الكثير من الدارسين للشعوب والأديان، يقول العالم البريطاني المتخصص في علم الإنسان إدوارد تيلر:"الدين يتضمن دائماً الإيمان بكائنات روحية". فالعقائد الدينية بمختلف أنواعها تتميز بخصيصة الإيمان بالغيب من وراء عالم الشهادة وليس من جنس هذه الطبيعة، وهو ما يسمى بـ"عالم ما وراء الطبيعة" أو "ما بعد الطبيعة" أو "الميتافيزيقا".

فجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أخبروا عن الغيب، وجميع الأديان تقوم على الإيمان بالغيب، والإسلام في كافة معتقداته وتشريعاته يقوم على الإيمان بغيوب كثيرة، اليقين بوجودها الحقيقي هو أساس العقيدة.

وبناء عليه فإن الإيمان بوجود الغيب تشهد به الفطرة السوية، وقد هدى الله تعالى المؤمنين بالرسالات السماوية إلى تفاصيل عنه تعرّفهم بما ينفعهم وتدلهم على تحقيق طريق العبودية لخالقهم.

ثالثاً: أقسام الغيب:

قسّم العلماء الغيب إلى أقسام باعتبارات مختلفة، من أهمها تقسيمه إلى قسمين بالنظر إلى ماهية الأمر الغيبي وصفات العالم به.

1- الغيب الذي لا دليل عليه فلا يمكن للبشر معرفته كما قال تعالى: ((**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**))[الأنعام:59]، وغيب الغيب وهو الذات الإلهية المطلقة، لا يمكن أن يتعلق به علم مطلقاً لكونه محتجباً في حجاب عزته، ولا يجوز إطلاقا اسم "الغائب" عليه تعالى ويجوز أن القول إنه غيب عن الخلق، وقد فسر قوله تعالى: ((**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**))[البقرة:3]، بأنه هو الله تعالى.

2- الغيب الذي نصب عليه دليل فيمكن معرفته، وذلك كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من أحكام، والشرائع والملائكة واليوم الآخر وأحواله والبعث والنشور والحساب والجزاء، إلى غير ذلك مما يجب على العبد معرفته وكلف به، وهو غائب عنه لا يعاينه ولا يشاهده، ولكن يمكن معرفته بالخبر الصحيح.

ويمكن إضافة قسم ثالث هو:

3- الغيب الإضافي أو المقيد أو النسبي وهو غيب مكاني وغيب زماني، فالمكاني ما غاب عنا لبعده عن نظرنا، والزماني ماض لم ندركه إما وجودا أو معرفة، ومستقبل آت كنزول المطر في مكان ما قبل أن يقع، وحال وقوعه هو غيب في حق من كان غائبا عنه.

رابعاً: العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة:

ورد في القرآن الكريم مصطلح "عالم الغيب والشهادة"، قال تعالى: ((**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**))[الرعد:9]، وقال أيضاً:((**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**))[المؤمنون:92].

لقد سبق تعريف الغيب، أما الشهادة فهي ضد الغيب، وهي من الحضور، وهي "كل أمر نستطيع التوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية فينا حسب العادة". ونلاحظ في نصوص القرآن الكريم أن الله تعالى يقدم الغيب على الشهادة، والحكمة في ذلك أن الأمور الغيبية لا تتناهى سعة ومدى، أما الأمور التي نتمكن من الوصول إليها ومشاهدتها فهي أمور يسيرة قليلة.

ومعنى عالم الغيب والشهادة أن الله تعالى يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، والغيب هو بالنسبة للإنسان، أما الله تعالى فيستوي عنده الغيب والشهادة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: ((**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**))[الرعد: 8-10].

بتدبر آي القرآن الكريم نجد عالمي الغيب والشهادة متكاملين، كما في آي القرآن الكريم عن الظواهر الكونية في ميدان الآفاق من عالم الشهادة، مع ذكر بعض المخلوقات من عالم الغيب، كتسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، قال تعالى: ((**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**))[الرعد:12-13].

ويورد العرش وهو من الغيب مع الآيات الكونية، قال تعالى:((**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**))[الرعد:2].

ويستدل على البعث بمقدمات إحياء النبات في ميدان الآفاق من عالم الشهادة. قال تعالى: ((**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**))[الحج:6-7].

جميع الموجودات سواء من عالم الغيب أو الشهادة هي مستسلمة لله تعالى، قال تعالى: ((**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**))[الرعد:15] وقال عز وجلّ: ((**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**))[الإسراء:44].

فمفهوم الغيب والشهادة في القرآن الكريم هو المفهوم الذي يحدد معنى الحياة والوجود، وغاية الحياة والوجود، وعلاقة ذلك بما وراء الوجود؛ إذ مفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدد معنى العقل الإنساني ودوره في الحياة الإنسانية وحدود هذا الدور ومجالاته".

عالـم الملائكــة

1- تعريف الملائكة:

أ- لغة: الملائكة جمع مَلَك وأصله "مألك" وقيل "ملأك" على وزن مَفْعَل، فنُقلت الهمزة إلى اللام وأسقطت فوزن "ملك". وهو مشتق من "الألوكة" وهي الرسالة. يقال "ألكني" أي أرسلني.

والذي يستفاد من التعريف اللغوي للفظ الملائكة أنهم عليهم السلام رسل الله تعالى. وقد سمّاهم الله تعالى بذلك في عديد الآيات، منها قوله تعالى:((**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**)) [هود:77].

ب- اصطلاحا: الملائكة أجسام لطيفة مخلوقة من نور قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها قدرات لا حصر لها، لا يأكلون ولا يشربون، وهم عباد مكرمون يفعلون ما يؤمرون، ولا يعصون الله تعالى.

2- وجود الملائكة:

وجود الملائكة أمر ثابت بالدليل القطعي من القرآن الكريم والسنة النبوية:

- قال تعالى: ((**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**))[البقرة:285]. وقال تعالى: ((**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**))[النحل:2].

- أما ما ورد من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقوله لجبريل عليه السلام في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان:" **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**" [صحيح مسلم].

- وفي كل القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة أخرى تخبر بصريح العبارة عن وجود الملائكة. ومن هنا كان إنكار وجود الملائكة كفراً بنص القرآن الكريم وبإجماع المسلمين، قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**))[النساء:136].

- كما أن الإيمان بنبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ونزول القرآن الكريم عليه يستلزم الإيمان بالملائكة، فإنكار وجودهم إنكار للنبوة وللقرآن الكريم معاً.

3- طبيعة الملائكة:

بيّنت السنة النبوية المادة التي خلق الله تعالى نتها الملائكة الكرام، حيث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خلقوا من نور في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**".

4- حديث القرآن الكريم عن الملائكة:

أ- تحدث القرآن الكريم عن الملائكة بهذا اللفظ أو بالمفرد أو بالمثنى 88 مرة.

ب- تحدث عن الإيمان بهم 3 مرات كما في قوله تعالى: ((**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ**))[البقرة:177].

ج- تحدث عنهم في سياق الحديث عن خلق آدم عليه السلام وتكريم الإنسان والإعلان عن أهمية وخطورة مهمة على الأرض بنحو 11 مرة.

د- تحدث عنهم بنحو 9 مرات في معرض بيان أنهم ليسوا بآلهة ولا تجوز عبادتهم، بل هم يؤمنون بالله تعالى ويعبدونه وله يسجدون. قال تعالى: ((**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**))[سبأ:40-41].

هـ- تحدث عنهم بنحو 21 مرة في معرض الرد على تصورات المشركين الخاطئة والباطلة عنهم سواء فيما يخص أن النبي لا بد أن يكون ملكاً أو أن يأتي معه ملك، قال تعالى: ((**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**)) [الفرقان:7]. أو فيما يخص تصورهم أن الملائكة إناثاً، قال تعالى: ((**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**))[الزخرف:19].

و- تحدث عنهم بنحو 7 مرات في سياق الحديث عن تأييدهم للمؤمنين، قال تعالى: ((**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ**))[آل عمران: 124].

ز- تحدث عنهم بنحو 15 مرة أثناء ذكر بعض الأعمال التي يقومون بها في الدنيا والتي لها علاقة بالإنسان ومهمته.

ح- تحدث عنهم بنحو 13 مرة أثناء ذكر دورهم وأعمالهم في الآخرة.

وهذه المحطات القرآنية في الحديث عن الملائكة هي صورة لا تحكي الكنه الغيبي لهم، بل هي صورة يحتاجها الإنسان في معرفة وظيفته الكبرى ألا وهي الخلافة. ومن هنا فهذه المحطات تشكل بلا ريب الصورة المتكاملة التي أراد أن يبيّنها ويقدمها القرآن الكريم للإنسان.

5- أسماء الملائكة:

وردت أسماء الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم وفي السنة النبوية عامة وخاصة.

أ- الأسماء العامة:

- **الأشهاد:** ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ((**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**))[غافر:51]، أن "الأشهاد" هم الملائكة.

-**الملأ الأعلى:** ذكر القرطبي في تفسيره قوله تعالى: ((**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**)) [ص:69]، أن المقصود بالملأ الأعلى هم الملائكة.

-**الجنود:** قال تعالى: ((**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**))[التوبة:26].

-**السفرة:** قال تعالى: ((**بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ**))[عبس:15-16].

-**الرسل:** قال تعالى: ((**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**))[الحج:75].

ب- الأسماء الخاصة:

- **جبريل وميكائيل:** قال تعالى: ((**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**))[البقرة: 97-98].

-**إسرافيل:** وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم في دعائه كلما استيقظ من الليل: "**اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**".

- **مالك:** خازن النار. قال تعالى: ((**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**))[الزخرف:77].

- **رضوان:** خازن الجنة، قال ابن كثير: "وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحا به في بعض الأحاديث".

- **منكر ونكير:** من الملائكة الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

- **هاروت وماروت:** ملكان سماهم القرآن الكريم، قال تعالى: ((**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**))[البقرة:102]. ويبدو من سياق الآية أن الله تعالى بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات، وقد نسجت حولهما أساطير كثيرة لم يثبت منها شيء في الكتاب والسنة.

- **عزرائيل:** جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت بعزرائيل، ولكنها غير ثابتة.

- **رقيب عتيد:** يذكر بعض العلماء رقيب وعتيد، قال تعالى: ((**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**))[ق:17-18].

6- موت الملائكة:

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، قال تعالى: ((**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**))[القصص:88]. ولكن هل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور ؟ هذا ما لا نعلمه ولا يستطيع الخوض فيه لعدم وجود النصوص المثبتة لذلك أو النافية.

7- صفات الملائكة:

أ- أنهم مخلوقون من نور: وقد مر بيانه.

ب- أنهم أصحاب أجنحة: قال تعالى: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**))[فاطر:1]. وفي البخاري عن عبد الله بن مسعود:"**أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح**".

ج- أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا ينامون: وقد مرّ بنا أن الله تعالى ذم الذين وصفوا الملائكة بالأنوثة.

د- أنهم منحوا القدرة على التشكل بأشكال مختلفة: قال تعالى: ((**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**))[مريم:17]. ومثال الملائكة ضيوف إبراهيم عليه السلام، والملائكة الذين جاؤوا سيدنا لوط عليه السلام في صورة شباب جميلي الصورة. وحديث جبريل الذي جاء فيه سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة..إلخ. وأيضا تمثله في صورة الصحابي دِحية الكلبي رضي الله عنه.

هـ- أن لهم قدرات خارقة متعهم الله تعالى بها: فهم جنود الله تعالى قادرين على أشياء يعجز الإنسان عن الإتيان بمثلها، كقطع المسافات البعيدة في أسرع اللحظات وكحمل الأشياء الثقيلة جداً..إلخ.

و- أنهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون: مطيعون لله تعالى معصومون عن المعاصي صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ((**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**))[الأنبياء:26-27].

ز- أنهم مقربون من الله تعالى ومكرمون عنده: قال تعالى: ((**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**))[النساء: 172].

8- وظائف الملائكة:

جاء في عديد النصوص الشرعية ما يدل على أن الملائكة أصناف، وأن لكل منهم وظائف أقامه الله تعالى فيها، من غير الحاجة إليهم فهو تعالى غني عن العالمين، بل ليدل بذلك على عظمته عزّ وجلّ وقدرته سبحانه وعلو ملكه وسلطانه. ومن هذه الوظائف ما يأتي:

أ- الوحي: وهي وظيفة خاصة بجبريل عليه السلام، فهو الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ((**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**))[الشعراء:192-194].

ب- الموكلون بالأرزاق: وأسبابها من السحب والأمطار والرياح، وذلك كميكائيل عليه السلام.

ج- **النفخ في الصور**: وهذا وارد في إسرافيل عليه السلام، فقد ورد أنه صاحب الصور(وهو شيء كالبوق) الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى. قال تعالى: ((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**))[الزمر:68].

د- **قبض الأرواح**: ولكن هل الذي يتولى ذلك منهم ملك واحد أم ملائكة كثيرين ؟ فقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن ملائكة الموت أكثر من واحد، وورد أيضاً أنه واحد.

- فيما يخص أكثر من واحد، كقوله تعالى: ((**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**))[الأنعام:61]. ((**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**))[الأنفال:50].

- وفيما يخص ملكاً واحداً، كقوله تعالى: ((**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**))[السجدة:11].

فكيف يكون الجمع بين الآيات ؟ الواقع أن الذي يتولى عملية الموت هم صنف من الملائكة يرأسهم ملك الموت عليه السلام، فتارة يسند العمل إلى رئيس الملائكة، وتارة إلى أتباعه من الملائكة، والأتباع يقومون بمعالجة خروج الروح من الجسد وملك الموت يقبض الروح، والله أعلم.

هـ- **نفخ الأرواح في الأجنة**: وكتابة مستقبل أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها أو شقاوتها. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق: "**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد**".

و- **كتابة أعمال المكلفين**: من خير أو شر، حيث وكّل الله تعالى بكل مكلف ملكين اسم كل واحد منها رقيب عتيد، يسجل كل أعمال المكلفين من خير وشر. قال تعالى: ((**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**))[ق:17-18].

ز- **القيام برعاية أهل الجنة ونعيمهم**: قال تعالى: ((**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**))[الرعد:24].

ح- **القيام بشؤون أهل النار وعذابهم**: قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**))[التحريم:6].

ك- **بشارة المؤمنين عند الموت**: قال تعالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**))[فصلت:30-31].

9- هل إبليس من الملائكة:

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن إل رأيين:

- **ذهب الفريق الأول** إلى القول بأنه من الملائكة وأن الاستثناء الوارد في الآيات الكريمة: ((**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**)) [الأعراف:11]، ((**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**))[ص:73-74]، إنما هو استثناء متصل.

- **بينما ذهب الفريق الثاني** إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما هو من الجن وأن الاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء منقطع. ويظهر أنه هو الرأي الراجح.

- حيث ذهب الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**))[الكهف:50]، إلى أن ((**كَانَ مِنَ الْجِنِّ**)) "هو كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من ((**كَانَ مِنَ الْجِنِّ**))، فكأنه قيل ما له لم يسجد؟ فقيل كان أصله جنياً وهذا ظاهر في أنه ليس من الملائكة".
وقال الشنقيطي: "وقوله في هذه الآية الكريمة ((**كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**)) ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن. وقد تقرر في مسلك النص وفي مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم "سرق فقطعت يده"، أي لأجل سرقته، و"سهى فسجد" أي لأجل سهوه. أي لعلة كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرّق بينه وبين الملائكة لأنهم امتثلوا الأمر وعصى".

- وقد أخبر القرآن الكريم أن إبليس له نسل وذرية، قال تعالى: ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**))[الكهف:50].

- كما أن أصل خلقه من مارج من نار وأصل الملائكة النور، قال تعالى: ((**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**))[الأعراف:12].

- لم يكن رسولا من الله تعالى لعباده أبداً، وكان الملائكة رسل الله تعالى لعباده دائما.

10- أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

أ- البرهان على صدق الإيمان: ذلك أنهم ليسوا من عالم الشهادة، فكان الإيمان بهم اعتماداً على الأخبار الصادقة، مع عدم رؤيتهم، دليل على صدق الإيمان وتمامه وصحته.

ب- تنمية الشعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله عزّ وجلّ: وهذا معناه أن نؤمن بمسؤوليتنا أمام الله تعالى في الدار الآخرة، من خلال اعتقادنا بأن هناك ملائكة كراما يحصون علينا كل صغيرة وكبيرة من أعمالنا.

ج- تقوية الشعور برحمة الله تعالى وعظمته: وذلك حينما يعلم الإنسان أن الله تعالى جلّت حكمته، قد وكّل بهذا الإنسان من يحافظ عليه ويصونه ويستغفر له.

د- تقوية ثقة المسلم بنصر الله تعالى وتأييده: وذلك عندما يعتقد المؤمن أن هناك ملائكة قد كلفوا بنصره وتأييده مادام هو قائم على نصر دين الله تعالى ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هـ- حمل الإنسان على التشبه بهم: في الإقدام على الطاعات، والابتعاد عن المعاصي، وذلك حينما يعلم أن الملائكة عليهم السلام دأبهم طاعة الله تعالى وتمجيده، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فيحمله ذلك على التشبه بهم والسير على نهجهم، فتقوى بذلك معانيه الروحية ويتدرج في مدارج الكمال.

عالـم الجـــن

1- تعريف الجن:

أ- لغة: لكلمة الجن مشتقات كثيرة تتفق جميعاً من حيث اللغة في معنى واحد وهو: الستر والخفاء.

قال تعالى: ((**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ**)) [الأنعام:76]، جنّ عليه الليل أي ستره وأظلمه.

ب- اصطلاحا: كائنات مخلوقة خلقها الله تعالى من مارج من نار، لا يرون، وهم مدركون عاقلون مكلفون، يأكلون ويشربون ويتوالدون، لهم قدرة على التشكل في صور مختلفة، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة.

2- الإيمان بوجود الجن:

دلّ الكتاب العزيز والسنة المطهرة بنصوص قاطعة لا احتمال فيها على وجود الجن.

- من ذلك قوله تعالى: ((**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**))[الذاريات:56]. ومنها قوله عزّ وجلّ: ((**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآَنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**))[الأحقاف:29].

- وقد ورد في حديث مسلم في كتاب الزهد والرقائق من صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**".

* وإذا كان وجود الجن معلوما من الإخبارات الإلهية بالضرورة، فقد أجمع المسلومن على أن الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله تعالى عزّ وجلّ، وأن من أنكر هم استلزم الخروج من الإسلام. وإنكارهم يستلزم نتيجتين اثنتين:

-الأولى:إنكار شيء عُلِم ثبوته من الدين بالضرورة.

-الثانية:تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله تعالى وعن نبيّه صلى الله عليه وسلم.

3- طبيعة الجن:

أصل الجان أو العنصر الأول الذي خلق منه هذا المخلوق ورد في قوله عزّ وجلّ: ((**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**))[الرحمن:15]. كما في ورد أيضا في حديث عائشة رضي الله عنها أعلاه.

4- بعض صفات الجن:

نحن لا نعرف صفات الجن وخلقهم وخلقتهم إلا بما عرّفنا الشرع منها:

أ- لهم قلوب وأعين وآذان: قال تعالى: ((**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**))[الأعراف:179].

ب- أنهم يتزاوجون وتوالدون: قال تعالى: ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**)) [الكهف:50].

ج- أنهم مكلفون: قال تعالى: ((**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**))[الذاريات:56]. قال ابن حجر: "وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام، وأما ما عداه من الفروع فاختلف فيه لما ثبت من النهي عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن".

د- أن منهم المسلم والكافر: قال تعالى مخبراً عن الجن قولهم: ((**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**))[الجن:11]. قدداً، أي جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، أي مسلمين وكافرين، صالحين وفاسدين.

ويمكن أن ندرج تحت هذه الصفة السؤال الآتي: ما دام النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الخلق كافة، فهل في الجن من يُعد صحابياً ؟ ذكر ابن حجر أن ذلك محل نظر، والراجح دخولهم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليهم قطعاً، وهم مكلفون، وفيهم الطائعون والعصاة.

هـ- قدرتهم على التشكل: يمكن للجان أن يخرج عن أصل خلقته التي هي كونه لا يرى، فيتشكل ويرى. (قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان الذي جاءه في صورة رجل هرم لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر..إلخ).

و- لا يعلمون الغيب: قال تعالى: ((**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**))[سبأ:14]، قال ابن كثير: "لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون، ويوهمون الناس بذلك".

5- هل الشيطان يؤذي ابن آدم جسدياً ؟

اختلفوا في ذلك إلى قولين:

أ- أحدهما: ذهب أصحابه إلى أن ذلك حاصل فعلاً، يقول ابن تيمية:"دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، كما قال تعالى: ((**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**))[البقرة:275]. وفي الحديث: "إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق". وقد يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب ضرباً كثيراً وهو لا يحس به (...) وليس في

أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذّب ذلك فقد كذب على الشرع والأدلة الشرعية لا تنفي ذلك".

– وممن ذهب إلى هذا الرأي واستدل له الإمام القرطبي في تفسيره للآية السابقة، حيث رأى أن في الآية إنكار على من أنكر الصرع وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس.

– وذهب ابن كثير إلى ذلك أيضاً في تفسيره لهذه الآية.

– وذهب إلى ذلك الإمام الألوسي، فقال أن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون.

– حديث المرأة التي تصرع، وقد علّق ابن حجر على رواية البزار "إني أخاف الخبيث أن يجردني"، قال: "وقد يؤخذ من الطرق التي أوردها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط".

ب– الثاني: وهو الذي لا يرى أنه يوجد تأثير مادي من الشيطان على الإنسان، وإنما التأثير هو نفسي فقط بالإغواء والتضليل وتزيين الباطل والكفر وفتنة الناس..إلخ.

–ممن انتصر إلى هذا الرأي أبو علي الجبائي المعتزلي، الذي يرى أن الشيطان ضعيف ولا يقدر على صرع الناس وقتلهم. واستدل لذلك بقوله تعالى: ((**وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ**))[إبراهيم:22]. وقال أن "المس" الذي في الآية 275 من سورة البقرة (المذكورة أعلاه) إنما هو الوسوسة وليس الصرع كقول سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام: ((**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**))[ص:41].

6– هل يقع التزاوج بين الإنس والجن ؟

هناك عدة أقوال في هذه المسألة:

أ–الجواز: ذهب بعض العلماء إلى جواز التزواج بين الإنس والجن، رغم عدم الانسجام بين الجنسين. يقول ابن تيمية في ذلك:"وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهو كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكرّه أكثر العلماء مناكحة الجن".

– كما ذهب إلى جواز ذلك الإمام القرطبي واستدل بقوله تعالى: ((**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**))[الرحمن:56]. فقد وصف الحق عزّ وجل الحور العين بأنه لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يعلمك أن النساء الآدميات قد يطمثهن الجان".

ب–المنع: وقد منعه الكثير من العلماء وهو المشهور والذي عليه المعوّل في هذه المسألة، واستدلوا بقوله تعالى: ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**))[الروم:21]. ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى امتن على الآدميين بأن جعل لهم

من أنفسهم، أي من جنسهم حتى يحصل التآلف والمواءمة بين الاثنين، وهذا لا يتحقق مع اختلاف الجنس. وأيضاً امتن عليهم بأن جعل بينهم المودة والرحمة وهذا لا يمكن أن يحصل إذا اختلف الجنسان.

– وقد ذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى في رده على جماعة من اليمن كتبوا إليه يسألونه عن رجل من الجن يخطب جارية زاعما أنه يريد الحلال، حيث أجاب رضي الله عنه بقوله:" ما أرى ذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وجد امرأة حامل قيل لها من زوجك ؟ قالت: من الجن؛ فيكثر الفساد في الإسلام بذلك".

7– عداوة إبليس للإنسان:

لقد بيّن لنا الله تعالى خطر إبليس وحذرنا من مكائده وفتنته، وتتمثل عداوته فيما يأتي:

أ–الإغواء وتزيين الباطل: ويشمل الكفر والحرام وأكل الربا والزنا وعقوق الوالدين..إلخ. قال تعالى: ((**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**))[العنكبوت:38].

ب–الوسوسة: فمن الوسائل التي يستعملها إبليس وذريته مع الإنسان الوسوسة، والوسوسة هي الخواطر الرديئة، وأصلها من الوسواس وهو الهمس الخفي. قال تعالى: ((**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**))[طه:120].

ج–الإيعاد بالفقر: الشيطان يثير في نفس الإنسان الحرص والشح، والتكالب على الدنيا ويخوفه من الفقر. قال تعالى: ((**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**))[البقرة: 268]. وقال صلى الله عليه وسلم:"**إن للشيطان لمّة بابن آدم، وللملك لمّة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب للحق. وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان**".

د–إلقاء العداوة بين الناس: ومن مكائد الشيطان التي لا تنتهي إثارة الفتن وإلقاء العداوة بين الناس والتحريض على الخصومة بينهم وخاصة بين المسلمين. قال تعالى: ((**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**)) [المائدة:91].

طريقة القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة وإثباتها

1- مفهوم الإيمان باليوم الآخر:

أ-مفهوم اليوم الآخر:"المراد باليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة الدنيا كلها. والثاني: إقبال الحياة الأخرى وابتداؤها. فدلّ لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الدنيا، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية".

ويذهب ابن حجر رحمه الله تعالى وهو يبيّن سبب تسميته باليوم الآخر إلى أن اليوم الآخر قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة.

ويبدأ اليوم الآخر بفناء هذا العالم، وموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل السماوات والأرض، ثم ينشيء الله تعالى النشأة الأخرى، ويبهث الناس جميعاً، وبعد البعث يحاسب المولى عزّ وجلّ كل فرد على ما قدم من خير أو شر، فمن ثقلت موازين أعمال الخير عنده فهو من أهل الجنة، ومن خفّت موازين أعمال الخير عنده وثقلت موازين أعمال الشر عنده فهو من أهل النار.

ب-مفهوم الإيمان باليوم الآخر: "وهو الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى عن طريق الوحي مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعده الله تعالى لأهلها جميعاً".

2- أسماء اليوم الآخر:

جاء ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم متعدد الأسماء، وكل اسم من هذه الأسماء يدل على معنى يخص هذا اليوم، ويشير إلى أهميته بوجه أو بآخر في حياة ووجود الإنسان، نذكر منها الآتي:

-يوم القيامة: لأن الناس يقومون فيه للحساب والجزاء. قال تعالى: ((**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**))[القيامة:85].

-يوم التغابن: لأن الكفار والمنافقين والعصاة يغبنون فيه. قال جلّ وتعالى" ((**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**))[التغابن:9].

-يوم الحسرة: لتحسّر العباد وتندمهم في ذلك اليوم ،كافرهم على كفره ومؤمنهم على تقصيره. قال عزّ وجلّ: ((**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**))[مريم:39].

-يوم البعث: لإحياء الله تعالى الموت وبعثهم من قبورهم. قال تعالى: ((**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**))[الروم:56].

-الطامة الكبرى: الأنه اليوم الغالب والطاغي على كل شيء. قال عزّ وجلّ: ((**فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى**))[النازعات:34-36].

-القارعة: لأنه يقرع القلوب بأهواله. قال الله تعالى: ((**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**))[الحاقة:4].

-الغاشية: لأنه يغشى الناس بأفزاعه ويغمهم،والكفار تغشاهم النار. قال تعالى: ((**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً**))[الغاشية:1-4]. ..إلخ.

3- مظاهر عناية القرآن الكريم باليوم الآخر:

عُني القرآن الكريم بتقرير الإيمان باليوم الآخر اعتناء كبيراً، كما أولاه أهمية عظمى وبالغة لخطورته في حياة الإنسان ووجوده الدنيوي أو الأخروي. وتظهر لنا بعض ذلك جلياً وواضحاً من خلال الأمور الآتية:

أ-ربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى مباشرة. يقول الله تعالى: ((**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**))[البقرة:177]. ((**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآَخِرَ**))[العنكبوت:36]. ((**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ**))[البقرة:232]. هذا الارتباط بين الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر كما بينته هذه الآيات الكريمات له خصوصية انطلاقاً من أن الإيمان بالله تعالى يحقق المعرفة بخالق هذا الكون، ويجيب عن سؤال من أين أتى الإنسان وهذا الكون ؟ والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الإنسان والكون، ويجيب عن سؤال ما هو مصير الإنسان والكون ؟ وبناء عليه ومن خلال هذه المعرفة بالمصدر والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه ويرسم حياته ووجوده.

ب-إكثار القرآن الكريم من ذكر اليوم الآخر: حيث لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الحديث عنه أو الإشارة إليه، وما سيكون فيه من أحداث، ومن ثمة محاولة تقريبه إلى الأذهان لتتخيله وتتصوره بالحجج والبراهين الأنفسية والآفاقية، وضرب الأمثال مع ما يحمله هذا الأسلوب من تأثير كبير في القلوب وتنبيهها واستمالتها إلى احتضان نور الإيمان.

ج-إطلاق القرآن الكريم أسماء كثير على اليوم الآخر: وهذا ما لاحظناه أعلاه حول تعدد وتنوع ذكر أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم، حيث لم تجيء تكرارا مرادفاً لمعناه، وإنما جاءت لترسم مشاهد متنوعة، كل اسم يدل بمرده على مشهد من مشاهد ذلك اليوم العظيم.

4- حكمة اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر:

تظهر الحكمة والمقصد من اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر من خلال ما يأتي:

أ- لما لليوم الآخر من أثر عظيم في حياة الإنسان وفي توجيهه وتصحيح سلوكه وانضباطه ووقفه مع العمل الصالح.

ب- كذلك فقد جاء هذا الاهتمام من منطلق رد القرآن الكريم على مشركي العرب الذين كانوا ينكرونه. حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله تعالى: ((**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**))[الجاثية:24].

ج- أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم عنه بلغ منتهى الفساد. كما أن الوثنيات القديمة كذلك لها تصورات فاسدة عن هذا اليوم، فجاء القرآن الكريم ليصحح هذه التصورات الفاسدة.

د- كذلك كثرة نسيان الإنسان له وغفلته عنه بسبب ركونه إلى الأرض وحبه للدنيا.

5- مسلك القرآن الكريم في عرض الحياة الآخرة:

إذا تدبرنا الآيات القرآنية التي تبحث في الآخرة فإننا نجدها تحث على استنهاض العقل الإنساني من غفلته والنفس من شهواتها لأجل أن تضطرهما إلى الوقوف على وجود حياة الآخرة حقيقية وإثباتها. وقد جاءت القرآن الكريم في إثبات ذلك على طرق متعددة منها:

أ-تنبيه القرآن الكريم إلى أن النظر في العالم السماوي والعالم الأرضي يؤدي إلى إثبات الحياة الآخرة: من حيث أن التدبر فيهما يؤديان حتما إلى نتيجة حاسمة، وهي أنهما لم يخلقا عبثاً وهما متصفان بهذا الإحكام والدقة في النظام، فلا بد أن لهما خالقاً، ولا بد أن وراء هذه الحياة الدنيا نشأة أخرى وحياة أخرى تظهر فيها نتائج هذه الحياة الدنيا. قال تعالى: ((**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)) [آل عمران:191]. وإلى هذا نبّه القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى: ((**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ**)) [الحجر:85].

ب-تنبيه القرآن الكريم إلى أن النظر في خلق الإنسان يؤدي إلى إثبات الحياة الآخرة: وذلك من حيث أن المولى عزّ وجلّ خلق الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: ((**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**)) [التين:4]، ولم يهمله ولم يتركه سدى، وأبان له الأحكام التي فيها سعادته وصلاحه ليحفظ عليه حسن تقويمه وكماله الإنساني. قال تعالى: ((**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**)) [القيامة:36]؛ أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك بدون هدف ولا غاية سواء تعلق الأمر بوجوده هو أو بالوجود كله، فهو يشعر في ذاته دائماً باتصال الزمان والأحداث والغايات، فهو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله تعالى في الدار الآخرة.

ج–النظر في حكمة الشرائع الإلهية يؤدي إلى إثبات الحياة الأخرى: إن الله تعالى الذي أوجد هذا العالم، كان من مقتضى حكمته إنزال الشرائع التي تبين للناس طريق الصلاح والسعادة وتنهاهم عن طريق الفساد والشقاوة. ومن مقتضى حكمة هذا التشريع الإلهي إعادة الثقلين مرة أخرى بعد موتهم لأجل أن يحاسبهم ويجزيهم بأعمالهم التي عملوها. فإيجاد العالم والإنسان بلا تشريع ولا غاية ولا هدف عبث، والله تعالى نزه نفسه عن العبث، قال تعالى: ((**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**)) [المؤمنون:115].

د–بيان أن حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان أن تكون حياة أخرى بعد هذه الحياة للحساب والجزاء: لما في ذلك من التسوية بين المحسن والمسيء، والصالح والطالح، والظالم والعادل، فتعالى الله عزّ وجلّ أن يساوي بين أولئك. قال جلّ وتعالى:((**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**))[ص:28].

هذا، وسوف نتعرف إن شاء الله تعالى عند الحديث عن البعث بأكثر تفصيل في هذه المسألة فيما يخص التطرق إلى الأدلة على وجوده.

الحيــاة البرزخيـــة

1- تعريف البرزخ:

أ-**لغة:** البرزخ هو الحاجز بين شيئين. قال تعالى: ((**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**))[الرحمن:20]، أي حاجز.

ب-**اصطلاحا:** يطلق البرزخ في الاصطلاح الشرعي على الحياة التي تعقب موت الإنسان والفترة التي يقضيها بين خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة. قال تعالى: ((**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**))[المؤمنون:100].

-أو هو العالم الذي يتوسط بين الدنيا والآخرة.

-أو هو"العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت، ويبقى فيه إلى يوم البعث؛ فهو عالم واقع بين عالم الدنيا وعالم الآخرة".

2- دليل الحياة البرزخية من القرآن الكريم والسنة النبوية:

أ-من القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ((**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**))[المؤمنون:99-100]. وقوله عزّ وجلّ: ((**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**))[غافر:46]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور".

ووجه دلالة هذه الآية على أن هناك حياة برزخية وأن هناك عذاب في القبر، أن الله تعالى ذكر نوعين من العذاب، عذاب يصلاه فرعون وقومه غدواً وعشياً قبل عذاب جهنم يوم القيامة، وعذاب آخر سينالهم يوم القيامة، فدل ذلك على أن العذاب الأول هو عذاب القبر، ومنه دلالته على وجود عالم البرزخ.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ((**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**))[التوبة:101]. وقوله عزّ من قائل: ((**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**))[الطور:47].

ب-من السنة النبوية:

-ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن يكن من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن يكن من أهل النار فمن أهل النار، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**".

-وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال:"**إنهما ليعذبان زما يعذبان في كبير، ثم قال:بلى. كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لِمَ فعلت هذا ؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا، أو إلى أن ييبسا**".

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن القرآن الكريم لم يتعرض للخصوصيات التفصيلية لعالم البرزخ، بل تعرضت السنة النبوية لها، نذكر منها:

3-ضمة القبر:

لا ينجو أحد من ضمة القبر، سواء كان صغيرا أم كبيراً، صالحاً أم طالحاً، كافراً أم مؤمناً، سيضمهم القبر ضمة. أما المؤمنين فيضمهم في أول نزولهم، ثم يفسح عنهم، وأما الكافرين فتستمر عليهم ضمة القبر حتى تختلف أضلاعهم إلى ما شاء الله تعالى. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجياً منها؛ نجا سعد بن معاذ**".

-ذكر بعض أهل العلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس عليهم ضمة القبر.

- وقد قيل كلاما متنوعاً مختلفا في سبب ضمة القبر، منه أنها أمهم، ومنها خلقوا، فلما ردوا إليها ضمتهم ضم الوالدة التي غاب عنها ولدها طويلاً. فإذا كان هذا العائد إليها لله تعالى مطيعاً ضمته برأفة وحنو، وإن كان عاصياً ضمته بعنف سخطا منها عليه لربها. وهذا الكلام فيه نظر من حيث أن ضمة القبر ليست من باب السرور للمؤمن بل هي من باب الفزع و الأهوال عليه.

- كما قيل أن ضمة القبر من العقوبات التي تصيب المؤمن جرّاء تقصيره وتفريطه في جنب الله تعالى، وأنه لم يشكر نعمة الله تعالى..إلخ. ولكن هذا يرد عليه أنه لو كان صحيحاً لكانت ضمة القبر في حق المكلفين فحسب، فكيف وضمة القبر تشمل كل عائد إليها حتى ولو كان صبياً ؟

وبناء عليه يمكن القول أن "ضمة القبر من أهوال القبور التي تصيب المكلفين، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين، فلا ينجو منها أحد كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهي كالأهوال والمصائب والأمراض التي تكون في الدنيا ويَبتلي الله تعالى بها جميع خلقه، وتختلف هذه الأهوال والمصائب والأمراض باختلاف حال من تصيبه من الشدة والتخفيف والاستمرار والانقطاع، والله أعلم".

4-فتنة القبر وسؤال الملكين:

إذا مات الإنسان أرسل الله تعالى إليه ملكين بشكل مفزع مخيف، فسألاه عن الدين الذي عاش عليه، وعن علمه بهذا الرجل الذي سمع عنه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فمن كان قد ثبتّه الله تعالى بالقول الثابت، ومات على الحق وختم له بالحسنى – نسأل المولى عزّ وجلّ أن نكون منهم- ألهمه الله تعالى الجواب على سؤال الملكين، دون أن يؤثر عليه مظهرهما المخيف. ومن لم يكن معتصماً بحبل الإيمان في حياته الدنيا ومات على ما

عاش عليه من لهو وعصيان وإدبار عن الحق – نعوذ بالله تعالى أن نكون منهم – ملأ الله تعالى قلبه فزعاً منهما، فغاب عنه الجواب المطلوب ولم يستطيع جواباً على ما يقولان.

–وهذه الحقائق الغيبية التي لا يلامسها إلا من انتهى إلى ذلك المنتهى، دلت أحاديث صحيحة كثيرة بلغت في مجموعها حد التواتر، ولذا كان إجماع المسلمين كلهم على الإيمان بذلك طبقاً لما دلّ عليه الخبر اليقيني.

–هذا، ولم ينكر سؤال الملكين (منكر و نكير) إلا أبو الهذيل العلاّف(ت227هـ)، وضرار بن عمرو، وبشر المريسي(ت219هـ) من المعتزلة. وقالت الكرامية: "إن منكرا ونكيرا هما الملكان اللذان وكلا بكل إنسان في حياته".

–مما يستدل به من القرآن الكريم على سؤال الملكين قوله تعالى: ((**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**))[إبراهيم:27].

– ومن السنة النبوية ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ))"**.

5–عذاب القبر ونعيمه:

أجمع جمهور المسلمين على الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، انطلاقا من تواتر الأدلة على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

– من القرآن الكريم، كما رأينا سابقاً، قوله عزّ وجلّ: ((**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**))[غافر:46]. وقوله تعالى:((**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**))[التوبة:101]. وقوله تعالى:((**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**))[الطور:47].

– ومن السنة النبوية، فضلا عما تطرقنا إليه سابقا، فعن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا؛ شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس"**. وقال صلى الله عليه وسلم: **"إن الميّت ليعذب ببكاء أهله عليه"**.

وفي الواقع فإن الأحاديث الواردة في هذا شأن متعددة وكثيرة، وأقوال السلف رضي الله عنهم تثبت عذاب ونعيم القبر. قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطّحاوية:"وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول".

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري:"وأنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال إمام الحرمين الجويني: "جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع، فمنها عذاب القبر، ومساءلة منكر ونكير، والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك، فإنه من مجوزات العقول، والله مقتدر على إحياء الميت، وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله، وكل ما جوزه العقل، وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله، وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه من عذاب القبر، ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل البدع والأهواء".

6- الحكمة من عذاب القبر ونعيمه:

- إظهار فضل الله تعالى على عباده الصالحين في تنعيمهم في قبورهم، وإظهار قهر الله تعالى في إذلال عباده المكذبين العاصين وتعذيبهم في قبورهم قبل اليوم الآخر.

- قد يكون عذاب القبر مكفرا لبعض الذنوب والمعاصي التي أتاها العبد في الدنيا، فيكون ذلك تخفيفا له من عذاب النار يوم القيامة.

- عندما يعلم المكلف بأن هناك عذابا في القبر قبل يوم القيامة فإن هذا سيكون له رادعا عن إتيان الذنوب والمعاصي في هذه الأولى.

- التحذير من بعض الذنوب والمعاصي التي يكون لها عقوبات خاصة في الحياة البرزخية، كعدم التستر من البول والنميمة.

أشراط الساعة الصغرى

1- تعريف الأشراط:

لغة: الأشراط من "الشَرَط" بفتحتين: العلامة، و"الأشراط": العلامات. فيكون على ذلك أن المقصود من أشراط الساعة: علامات الساعة. قال الجوهري رحمه الله تعالى:"أشراط الساعة علاماتها".

2- اصطلاحا: أشراط الساعة: هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها، يقول الحافظ ابن حجر:"المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة".

وهي نوعان: صغرى وكبرى، والصغرى هي التي ظهرت وتظهر إلى اليوم، ولا زالت مستمرة في الظهور، وأما الكبرى فهي التي تظهر في آخر الزمان، وتكون علامة على قرب قيام الساعة. وفيما يأتي تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى.

2- علامات الساعة الصغرى:

علامات القيامة الصغرى أو أشراط الساعة الصغرى يمكن تقسيمها إلى قسمين: علامات ظهرت وانقضت، وعلامات ظهرت ولم تنقض ولا زالت في الظهور والازدياد.

القسم الأول: وهي التي ظهرت وانقضت، منها الآتي:

أ- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"بعثت أنا والساعة كهاتين" وقرن بين السبابة والوسطى"**. فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعثته علامة من علامات الساعة ودليل على قرب قيامها.

ب- انشقاق القمر: وقد نزلت سورة قرآنية بهذا العلامة، قال تعالى: ((**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**)) [القمر:1]. وقد وقع ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير رحمه الله تعالى:"قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه إحدى المعجزات الباهرات". أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:"**انشق بالقمر على عهد رسول الله صلى الله عيه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اشهدوا**".

القسم الثاني: وهي التي ظهرت ولم تنقض ولا زالت في الظهور والازدياد، منها الآتي:

أ- سيادة الحمقى واللئام: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكّع بن لكّع**". أي: حتى يكون اللئام الحمقى ونحوهم رؤساء الناس.

ب- انقلب الأوضاع: قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**".

ج- إسناد الأمر إلى غير أهله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"**بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال:"فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**". ذلك أن الأمر إذا أسند إلى غير أهله حصل فساد كبير.

د- ظهور الفتن: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة ظهور الفتن، وهي كل مكروه أو ما يؤول إلى مكروه كالإثم والكفر والقتل وغير ذلك. هذه الفتن التي يلتبس فيها الحق بالباطل وتفضي إلى زلزلة الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا. قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**"

وأحاديث الفتن كثيرة، حيث حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الفتن وأمر بالتعوذ منها.

هـ- قبض العلم وظهور الجهل: من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم قبض العلم وظهور الجهل. فعن أبي موسى وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل**".

وذهاب العلم قد يكون بمحوه من القلوب، أو بموت العلماء وقبضهم، أو بعدم العمل به.

وهناك الكثير من الأمارات التي حوتها كتب الحديث الشريف مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والزلازل والأحداث والملاحم التي تقع بين يدي الساعة وقد وقع معظم ذلك.

3-دلالة أشراط الساعة الصغرى على صدق النبوة:

إن الحديث عن أشراط الساعة لا تنحصر فائدته فقط في معرفة قرب وقوعها، بل أيضاً في صدق الرسالة الخاتمة، رسالة نبيّنا صلى الله عليه وسلم. فمن أعظم دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إخباره عن أحداث وقعت في زمانه وأحداث وقعت بعد موته صلى الله عليه وسلم، وعن أحداث تقع قبل قيام الساعة، كما رأينا، وهذا من أدلة صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإخباره بالغيب. فإخباره صلى الله عليه وسلم بهذه الأشراط الغيبية يضيف حتما دليلا جديداً إلى أدلة صدق نبوته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وربما سيكون الناس بحاجة إلى هذا الدليل يوم تقوى الفتن وتضطرب العقول وينسى أهل البيان بيانهم فلا يعودون يدركون إعجاز القرآن الكريم البياني، والله العالم.

أشراط الساعة الكبرى

1- الفرق بين أشراط الساعة الصغرى والكبرى:

- **أشراط الساعة الصغرى:** هي التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمان بعيدة متطاولة، وتكون في أصلها من نوع المعتاد، كظهور الفتن، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، والتطاول في البنيان، وقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر إلى ما هنالك من الأشراط الصغرى. وهي التي إذا ظهرت فإن باب التوبة يبقى مفتوحاً.

- **أما أشراط الساعة الكبرى:** فهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة وتقاربها مقاربة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع، وخارقة للعادة، كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام إلى غير ذلك من العلامات الكبرى.

2- علامات الساعة الكبرى:

عن حذيفة بن أسيد قال: "**أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من علية ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون ؟ قلنا: نتذاكر الساعة قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات:الدخان، والدجال وعيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها، وثلاث خسوفات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم إذا قالوا**".

وقد اختلف أهل العلم في ترتيب هذه الأشراط؛ حيث أنه جاء ذكرها في الحديث أو الأحاديث التي ذكرتها مجتمعة دون ترتيب، وذهبوا إلى أن ترتيبها في الذكر الذي جاءت به لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو وذلك، كما قالوا، لا يقتضي الترتيب.

وحسبنا في هذا المقام أن نشرح هذه الأشراط كما وردت في الحديث الذي تقدم.

أ- الدخان:

أول هذه الأشراط المذكورة في الحديث النبوي هي الدخان، وهذه الأمارة أو العلامة ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) [الدخان:10-11]. فمن علامات الساعة وأشراطها ظهور دخان قبل قيام الساعة يملأ الأرض كلها فتصبح كبيت أوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزكمة ويدخل منافذ الكفار والمنافقين فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم. فقد روى الطبراني:"**إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة والثالثة الدجال**".

وقد أجمع المسلمون على أن الدخان علامة من علامات الساعة ولكن اختلفوا في هل هذه الآية مضت وانقضت أم أنها لم تأت بعد ؟ و ما ذهب إليه الأكثرون هو أن هذه العلامة لم تظهر بعد.

ب–الدجال:

الدجال مأخوذ من الدجل بمعنى الكذب، أو بمعنى التمويه والتغطية، وسُمي بذلك لأنه يموه ويغطي الحق بالباطل. وسُمي مسيحاً لأنه ممسوح العين أي: أعورها، وهو قبيح الشكل والصورة مكتوب بين عينيه: كافر. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: **"إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عِنَبَةٌ طافية"**. وقد حذّر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من خطورة الدجال، حيث إن فتنته أعظم فتنة على الإطلاق، وما من نبيٍّ إلا وحذّر أمّته من فتنة الدجال، عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**"ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر"**.

– ومن أوصاف الدجال أنه قصير، متباعد ما بين الساقين، لاعوجاج فيهما، مطموس العين كثير الشعر، شديد البياض، عظيم الجثة. عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إني حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت ألا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج**(= المتباعد بين الفخذين)، **جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء**(=غائرة مختفية كأنها دخلت في جحر)، **فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**".

– وقد اتفقت روايات الحديث أن الدجال أن خروج الدجال يكون من قِبل المشرق، وبالتحديد من بلاد فارسية يقال لها خراسان، ويجوب الأرض كلها باستثناء مكة والمدينة. وفتنة الدجال عظيمة وذلك بسبب ادعائه للألوهية، وما يخلق الله تعالى معه من الخوارق العظيمة التي تحيّر العقول وتبهر الناس. ومدة لبثه في الأرض أربعون يوماً، ويقتله سيدنا عيسى عليه السلام بفلسطين.

– عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة:"**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**". فقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من فتنة المسيح الدجال، ونبهنا على خطره وشرّه وأرشدنا إلى التمسك بالإسلام والتسلح بالإيمان وحفظ فواتح وأواخر سورة الكهف، والمداومة على قراءتها كل جمعة، دفعا لفتنة الدجال الذي هو ظاهر بالمعنى في هذا الزمان قبل أن يظهر حقيقة في آخر الزمان.

ج– خروج الدابة:

"الدابة تعبير قرآني عن حيوان نَكِل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عزّ وجلّ. وهذا الحيوان يظهر للناس قبيل الساعة، والحكمة من ظهورها تمييز المؤمن من الكافر، فتسم المؤمن بما يدل على إيمانه وتسم الكافر بما يدل على كفره". قال تعالى: ((**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا**

يُوقِنُونَ))[النمل:82]. فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى وتبديلهم الدين الحق، وتماديهم في العصيان والفسوق، حيث لا تنجح معهم موعظة ولا تصرفهم عن غيّهم تذكرة، فإذا صاروا إلى ذلك يخرج لهم الله تعالى دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك. دابة تعقل وتنطق على خلاف المعهود في الدواب، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**بادروا بالأعمال ستاً:طلوع الشمس من مغربها،والدخان،والدجال،ودابة الأرض، وخاصة أحدكم وأمر العامة**".

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير": "وقد رويت في وصف هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد فانظرها في تفسير القرطبي وغيره إذ لا طائل في جلبها ونقدها".

د- نزول عيسى عليه السلام:

نزول عيسى عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ثابت في بالكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى. قال تعالى: ((**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**))[النساء:159]. ووجه الاستدلال أن الضمير في "موته" عائد على عيسى عليه السلام، فيصبح المعنى: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سيؤمنون بعيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً ولا يكون ذلك إلا قبل موته وبعد نزوله من السماء قبيل قيامة الساعة. سيعود إلى الأرض ليقيم شريعة الإسلام وأحكامه، حيث ينزل تابعا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مقتدياً بشريعته.

- كما ورد ذلك أيضاً في قوله تعالى: ((**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**))[الزخرف:61]. فالضمير في "إنه" عائد على عيسى عليه السلام، والمعنى أن عيسى عليه السلام دليل على قيام الساعة. ويوضح هذا المعنى أكثر قراءة "لَعَلَم" بفتح العين واللام؛ أي علامة عليها.

- أما الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فهي كثيرة نوجز منها: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها**"، ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم:((**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**))[النساء:159].

- ومن الأعمال التي يقوم بها عيسى عليه السلام عندما ينزل إلى الأرض: -يكسر الصليب -يقتل الخنزير -يضع الجزية، على معنى أنه يرفعها حيث يصبح الناس آنذاك على ملة واحدة وهي الإسلام -يقتل الدجال حيث يدركه بباب لُدٍّ بفلسطين فيقتله ويقضي على فتنته-يقضي على يأجوج ومأجوج بدعائه عليهم -يقضي بالأحكام الشرعية المحمدية إذ لا يأتي بتشريع جديد بل يأتي تابعا لسيد الأنبياء المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

- يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة ويتوفى ويصلي عليه المسلمون.

هـ- خروج يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان لأقوام يبلغون من الكثرة مبلغاً عظيماً، ويفسدون في الأرض إفساداً كبيراً. وهم علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في موضعين كما ورد ذكرها في السنة النبوية. قال الله تعالى: ((**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**))[الكهف:94]. وقال جلّ وتعالى: ((**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**))[الأنبياء:96].

فهذه الآيات الكريمات تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم، ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا اقتربت الساعة اندك هذا السد وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فساداً، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة.

كما ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث في وصفهم وما يتعلق بهم منها:

- عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول:"**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث**".

و- طلوع الشمس من مغربها:

و"معنى طلوع الشمس من مغربها، أنها تظهر من جهة المغرب في وقت الصباح على عكس ما هي عليه الآن من طلوعها من جهة المشرق، ولعل هذا بدء اختلال الكون؛ لأن طلوع الشمس هو آخر أمارات الساعة".

هذه الآية هي من أعظم العلامات التي تظهر في آخر الزمان وبظهورها يغلق باب التوبة. وقد ورد الإشارة إليها في قوله تعالى: ((**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**))[الأنعام:158]. وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن المراد منها طلوع الشمس من مغربها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**". وهذا الذي عليه أكثر المفسرين.

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذه العلامة منها:

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**إن الله يبسط يده ليتوب مسيء الليل ويبسط يده ليتوب مسيء النهار، حتى تطلع الشمس من مغربها**".

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**"ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في لإيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض"**.

ز- الخسوفات الثلاثة:

يقال خسف المكان يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض وغاب فيها. ومنه قوله تعالى: ((**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**))[القصص:81].

والخسوفات الثلاثة هي علامة من العلامات الكبرى على موعد قرب القيامة كما ورد في الحديث، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وهذه الخسوفات لم تقع بعد كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر شيء منها. وقد ذهب بعض من العلماء إلى أنها وقعت، والصحيح أنهالم تقع بعد لأنها ستكون عظيمة، والذي وقع هو بعض الخسوفات في أماكن متفرقة وفي أزمان متباعدة،كما أخبر الله تعالى في محكم تنزيله: ((**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**))[العنكبوت:40].

قال ابن حجر:"وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً".

ح- النار التي تحشر الناس إلى محشرهم:

آخر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة نار تخرج من قعر عدن من أرض اليمن، تحشر الناس إلى محشرهم. وقد سبق وأن ذكرنا الحديث الذي عدد فيه النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة وذكر أنها عشر، قال:"وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم".

ومن عجائب هذه النار أنها تسوق الناس أمامها وتبيت حيث يبيتون وتقيل حيث يقيلون، وتأكل من تخلف. وهذا الحشر هو في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراطها، والمحشر هو أرض الشام.

3- أثر العلم بأشراط الساعة في حياة الإنسان:

يمكن تلخيص أهم هذه الآثار فيما يأتي :

1- الإيمان بهذه الأخبار إذا تحققنا صدقها هو الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ((**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**))[البقرة:2-5].

2- وقوع تلك المغيبات على النحو الذي حدّثت به الأخبار يثبّت الإيمان ويقويه.

3- تثبيت الإيمان بيوم القيامة، فوقوع الأحداث على النحو الذي جاءت به النصوص القرآنية والحديثية دليل واضح صادق على كل الأخبار ومنها أخبار القيامة.

4- الخوف من الله تعالى والحذر منه سبحانه، وذلك بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لأن يوم الحساب قد قَرُب، فأكثر علامات القيامة الصغرى قد وقعت، ونحن بين يديّ العلامات الكبرى، ثم القيامة. فانشقاق القمر، وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة التي تحققت قبل أربعة عشر قرناً، فكيف القرب الآن !؟

5- الزهد في الدنيا والإدبار عن التعلق بها، والإقبال على الآخرة بالطاعة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

6- العصمة من الفتن وآثارها المتضمنة في أشراط الساعة ، وذلك بالعلم بها، وبخطورتها ، وبكيفية المخرج والنجاة منها، وسبل التعامل معها، من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

يوم القيامة وأحداثه

1- النفخ في الصور

الصور لغة: هو البوق. أما شرعاً فهو مخلوق أعده الله تعالى ليحدث فيه النفختان. وقد سمي أيضاً بالناقور لشديد وعظيم النفخ. قال عزّ وجلّ: ((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**)) [يس:51].

– **النفخة الأولى**: هي نفخة الإماتة العامة. وهي ما أشار إليه الكتاب العزيز بالساعة عندما يختل نظام الكون. قال الله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**))[الحج:1-2]. وقال الله تعالى: ((**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**))[الزمر:68]. والاستثناء من النفخ اختلف العلماء في حق من يكون. ويرى الكثيرون أن الأولى بالمؤمن التوقف في تعيين الذين استثناهم الله تعالى، لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على الحقيقة.

– **النفخة الثانية**: وهي نفخة الإعادة إلى الحياة بعد الموت، فيخرج أهل القبور من قبورهم، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير كهيئتها الأولى. ومن الآيات التي تدل على النفخة الثانية وهي نفخة البعث، قوله تعالى: ((**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**))[الزمر:68]. وقوله تعالى: ((**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**))[المدثر:8].

2– البعث

بعد النفخة الثانية يحدث البعث. وكلمة "البعث"جاءت في اللغة العربية بمعان متعددة منها: الإرسال، كإرسال الله تعالى الرسل عليهم السلام. و"الايقاظ"، كإيقاظ النائم. و"الإثارة"، كإثارة الناقة. و"الإحياء"، كإحياء الله تعالى للموتى. وأما اصطلاحاً فيعني "إعادة الإنسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا".

– يخرج الله تعالى الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ((**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا**))[يس:52]، ويقول المؤمنون ((**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**))[يس:52].

3– الحشر

وبعد البعث يحشر الناس. والحشر في اللغة الجمع. وفي الشرع: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم. وهو المراد من قول الله تعالى: ((**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**))[الكهف:47]. ((**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**))[الأنعام:22]. فهذه الآيات تبيّن أن الله تعالى يحشر جميع الخلائق يوم القيامة للحساب.

– والحشر يكون في الأرض المبدلة. قال تعالى: ((**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**))[إبراهيم:48]. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأرض المبدلة فقال:"**يحشر الناس يوم**

القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرْصة النَّقيِّ ليس فيها عَلَم لأحد". و"العفراء" البيضاء المائلة إلى الحمرة. و"النقي" هو الدقيق الحوري وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة، للدلالة على انبساطها. وبناء عليه فإن التغيير حاصل سواء كا تغييراً كلياً أم تغييراً جزئياً وهو ما صرحت به النصوص الصحيحة.

-أما الكفار فيحشرون على وجوههم زيادة في إذلالهم لما كانوا عليه من التكبر على دين الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين. قال تعالى: ((**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**))[الإسراء:97].

– وأما المؤمنون فيحشرون على أحسن صورة وأجمل هيئة جزاء بما عملوا وقدموا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف:صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم. قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال:إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوهه كل حدب وشوك**".

– وقد جاء في السنة الهيئة التي يحشر عليها الناس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم لإلى بعض**".

– ومما ورد في هذا اليوم أن أن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق ويعرق الناس حتى يبلغ العرق ركبهم وأفواههم وهناك من يغطيهم. عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا يغلي منها الهوام كما يغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ومنهم من يلجمه العرق**".

– وفي هذا الموقف الرهيب المرعب يكون أصناف من الناس في منأى عن هذا العذاب، وهم السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

4– الشفاعة

وعندما يطول الحشر ويشتد الأمر، ويعظم الكرب في هذا الموقف العظيم يبدأ الناس بالبحث عن شفيع يشفع لهم عند الله عزّ وجلّ أن يبدأ الحساب. فيأتون الرسل صلى الله عليهم وسلم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وكل رسول يحيلهم على من بعده حتى يأتونا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع فيهم ويقبل الباري سبحانه وتعالى، فينصرف الناس إلى الحساب والجزاء والقضاء.

– الشفاعة عموما هي السؤال في التجاوز عن الذنوب، أو هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. وهي ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي الوسيلة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**من قال حسن يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة**

التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة". ويقول الله تعالى: ((**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**))[الإسراء:79].

– و"المقام المحمود" هو الشفاعة التي تكون للنبي صلى الله عليه وسلم قال الطبري في تفسيره:"قال أكثر أهل التأويل:ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم".

– ومن الشفاعة المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين يدخلون النار. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**".

5- الحساب

وبعد الشفاعة الكبرى يصدر الناس للحساب والجزاء على ما قدموا في الحياة الدنيا من خير أو شر، وقد ذكر الله تعالى مشهد الحساب فقال: ((**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**))[الزمر:69].

والمراد بالحساب أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وكل ما كانوا عليه في الحياة الدنيا من أقوال وأفعال، ويشمل هذا الحساب ما يقوله الله تعالى لعباده وما يقولون له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، قال الله تعالى: ((**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**))[الزلزلة:6-8].

– والحساب من حيث الطول والقصر، ومن حيث العسر واليسر يدور على محتوى الكتب التي يعطاها كل إنسان ساعة القضاء. فهناك من يكون حسابه قصيراً يسيراً، يقول الله تعالى: ((**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**)) [الانشقاق:7-9]. والمقصود بالحساب اليسير عرض الأعمال على صاحبها ثم يتجاوز عنه، كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**من نوقش الحساب عُذب. قالت: قلت: أليس قال الله: ((فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)) ؟ قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحسابيوم القيامة عذب**".

– وهناك من يكون حسابه طويلاً عسيراً وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم ومن أظهرهم.

– وهناك السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

– و أثناء الحساب تشهد على الإنسان جوارحه فلا يستطيع إنكار أي شيء مما عمل، قال الله تعالى: ((**حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**))[فصلت:20].

- وممن يشهد على الإنسان أيضاً الأرض التي كان يمشي يعيش عليها ويأتي المعاصي فوقها. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ((يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا))**[الزلزلة:4]**، قال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها"**.

6- الميزان

وبعد هذا الحساب توضع الموازين، والميزان جمع موازين وهو الآلة التي تقدر بها الأشياء. قال تعالى: **((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا))**[الأنبياء:47]. وقال: **((فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ))**[القارعة:6-9]. يقول الإمام القرطبي:"وقال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: **((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا))**[الأنبياء:47]".

وما ورد من السنة في شأن الميزان قول النبي صلى الله عليه وسلم:**"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"**. كما ور أيضا حديث ابن مسعود عندما ضحك الصحابة رضي الله عنهم من دقة ساقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:**"والذي نفسي بيده إنهما لأثقل في الميزان من أحد"**.

- وقد اختلف العلماء في كيفية الميزان الذي ذكر في الآيات القرآنية هل هو حقيقة أم مجاز؟ فبين قائل إن الميزان هو مثل وليس ثم ميزان على الحقيقة وإنما هو كناية عن العدل، وبين قائل إن الميزان حقيقة له لسان وكفتان. وقد ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري إلى أنه على الحقيقة، يقول:"قال أهل الحق له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفيه الحسنات وفي الأخرى السيئات. فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة".

- واختلفوا أيضا في الذي يوزن ما هو ؟ هل هو الأعمال أم الأشخاص أم الصحف ؟ والذي ذهب إليه الأكثرون أن الذي يوزن هو الصحف المدون فيها الأعمال، قال القرطبي:"والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان، قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر".

يقول الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي:"وعلينا أن نمسك، كما قال العلماء، عن تعيين نوع هذا الميزان وجوهره وكيفيته، وهل هو ميزان واحد للخلائق كلهم أم موازين كثيرة، فكل ذلك مما لا سبيل إلى القطع به. ولكننا نؤمن بما أخبر الله عنه، ونقول إنه كما أخبر جلّ جلاله، دون أن نؤوّل أو نقحم عقولنا وأخيلتنا في حمل هذه الآيات على مجاز أو استعارة أو نحو ذلك".

7- الصراط

الصراط في اللغة هو الطريق.

ويطلق شرعاً على معنيين: أحدهما في الدنيا: وهو المنهج الذي شرعه الله تعالى لعباده وأمرهم باتباعه والتزامه، وهو المعني بقول الله تعالى: ((**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**))[الأنعام:152]. وقوله عزّ وجلّ: ((**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**))[الفاتحة:6]. والثاني في الآخرة: وهو "الجسر الذي ينصب على نار جهنم يوم القيامة فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأضرابهم وتفاوت درجاتهم، فمنهم من يدق تحت قدميه حتى يبدو له أنه أدق من السيف، فيترنح من فوقه ثم يهوي في النار، ومنهم من ينبسط عريضاً تحت قدميه فيمر من فوقه إلى ما أعده الله له من النعيم المقيم". وإليه يشير قول الله تعالى: ((**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**)) [مريم:71-72]. وقوله تعالى: ((**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**))[يس:66].

- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا، وعلى جنبيه ملائكة يقولون:اللهم سلم اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعياً ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار فلا يموتون ولا يحيون، وأما أناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فحماً ثم يؤذن في الشفاعة**".

- والصراط في الآخرة هو تجسيد لمعنى الصراط الذي أمر الله تعالى به عباده الالتزام به في الدنيا. فمن استقام على الصراط المستقيم، خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى، تعثر في أول قدم من الصراط وتردى.

فاللّهم ارزقنا حسن الإنابة إليك في حياتنا الدنيا، وأحسن منقلبنا إليك في ذلك اليوم العظيم، وأجرنا من عذابك بمنّك وفضلك يا أرحم الراحمين.

8- الجنة والنار

بعد تلك الرحلة من هول البعث وفزعه، وخوف الحساب وعرض الأعمال واجتياز الصراط، تأتي المرحلة الأخيرة، مرحلة الجزاء النهائي، إما الجنة أو النار.

لقد ساقت إلينا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حقيقة كل من الجنة والنار، فالجنة نعيم العابدين الساجدين الراكعين المطيعين لله تعالى، والنار عاقبة المسيئين المستكبرين عن عبادته سبحانه وتعالى. ومن الأمور التي يجب اعتقادها اعتقاداً جازماً فيما يخص الجنة والنار هو الآتي:

– أن نعيم الجنة وعذاب النار هو للروح والجسد معاً، وقد وصف القرآن الكريم الجنة بأوصاف حسية مادية، إذ فيها السرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والولدان المخلدون وأنهار العسل واللبن..إلخ، وكلها أوصاف حسية مادية. قال تعالى: ((**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**))[الغاشية:12-16]. ويوجد الكثير من مثل هذه الآيات في الوصف الدقيق لنعيم الجنة المادي. أما في وصف عذاب النار المادي فيقول الله عزّ وجلّ: ((**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ**))[الغاشية:2-7]. والآيات في ذلك كثيرة.

– خلود كل من في الجنة والنار، اتفق جميع المسلمين على أنه لا فناء للجنة ونعيمها ولا للنار وعذابها. وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية كثير في إثبات خلود الجنة والنار، منها قوله تعالى: ((**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**))[البقرة:25]. وقال الله تعالى: ((**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**))[المائدة:119]. وفي خلود النار وأهلها يقول الله عزّ وجلّ: ((**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**))[هود:106-107]. وقال جلّ وتعالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**))[البيّنة:6].

– ومما يدل على الخلود من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**".

– أن الجنة والنار مخلوقتان، حيث ذهب علماء المسلمين إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وخالفهم أكثر المعتزلة والخوارج في ذلك وقالوا إنما يخلقان يوم الجزاء. واستدل أهل السنة على ثبوت ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية. أما القرآن الكريم فقوله تعالى: ((**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**))[آل عمران:133]. وقوله عزّ وجلّ: ((**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**))[الحديد:21]. ويقول سبحانه وتعالى في شأن النار: ((**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**))[آل عمران:131]. ووجه دلالة هذه الآيات على وجود الجنة والنار، أن القرآن الكريم عبّر بلفظ "أعدت" الذي يفيد الماضي وهو صريح في وجودهما الآن. ومن السنة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**إن في**

الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها". وحديث الإسراء والمعراج الذي رأى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وما أعده الله فيهما من صنوف النعيم والعذاب، والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

9- رؤية الله تعالى

إذا كان أفضل جزاء الإنسان يوم القيامة هو الخلود في الجنة، فإن أفضل ما يحققه الإنسان في الجنة هو رؤية الله تعالى. وإذا كانت رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين يوم القيامة نعمة لا تعادلها نعمة وسعادة لا تدانيها سعادة، فإن حجب الكفار عنها وحرمانهم منها هو حرمان لا يدانيه حرمان.

ورؤية الله تعالى في الآخرة والنظر إليه من قبل المؤمنين مما دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو نعمة ينعم الله تعالى بها على عباده تتضاءل أمامها جميع النعم. قال الله تعالى: ((**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)) [القيامة:22-23]. وقال عزّ وجلّ: ((**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**)) [يونس:26]. والمراد بالزيادة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم يوم القيامة، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد فسرها بهذا عندما قال:"**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال: فيكشف الله تعالى الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربّهم ولا أقرّ لأعينهم وهو الزيادة"**. ومن الأحاديث التي تدل على إثبات الرؤية قوله صلى الله عليه وسلم:"**إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"**.

فاللهمّ لا تحرمنا يوم القيامة من النظر إلى وجهك الكريم .. آمين

أثر الإيمان بالحياة الآخرة والحساب

إن انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان خاصة مع الأساليب الجديدة والدعايات الكثيفة التي تزين للناس الدنيا وتصدهم عن الآخرة، تجعل من دراسة اليوم الآخر وتعميق الإيمان به من الضرورات الإيمانية في الواقع المعيش للإنسان المسلم. وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم لم تنفتح عليهم الدنيا كما انفتحت علينا اليوم

إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحذرهم من الدنيا ومن الاغترار بها، فإننا بلا ريب أحوج منهم بكثير إلى أن نتذكر الآخرة ونستعد لها.

ثم إن ركون الكثير من الناس وقسوة قلوبهم وتحجّر عيونهم، وهجرانهم لكتاب الله تعالى العزيز، ما هو، على ما يبدو، إلا بسبب نسيان الآخرة والحساب.

وما هذا التكاسل والتقاعص الذي نعيشه اليوم عن الاشتغال بالعمل الصالح إلا بسبب الغفلة عن يوم الحساب.

وما نراه اليوم ونشاهده في عصرنا هذا من المشكلات الحيايتة المعقدة، والأمراض النفسية المتنوعة من القلق والاكتئاب اللذين يؤديان غالباً إلى حياة بائسة يائسة، سببه البعد عن الله تعالى وتذكر الحياة الآخرة.

وما نلاحظه من كثرة المظالم، واعتداء الناس على بعضها البعض، وأكل أموال الناس بالباطل، والنيل من الأعراض وهتكها، والتباغض والفرقة والاختلاف، سببه بلا أدنى شك عدم تذكر اليوم الآخر والحساب.

وبناء على ما تقدم من مشاهد الواقع السلبي الذي نعيشه في حياتنا بسبب غياب اليوم الآخر والحساب عن يوميات حيتنا وواقعنا، فإننا نستخلص أهم آثار الإيمان بالحياة الآخرة والحساب في الآتي:

1- **الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم:** فالموقن بأن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة سينتهي إليها، وأنه هناك سيحاسب فيها على كل ما عمله في هذه الحياة الدنيا، لا بد أنه سيحرص على أن تكون أعماله كلها خالصة لله تعالى، وسيجتهد في أن لا تتلوث أعماله وحركاته وسكناته بالرياء والعُجب وطلب الجاه الذي يحبط كل عمل يقبل عليه، كما يحرص أيضاً على أن يكون في أعماله كلها متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ((**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**))[الكهف:110].

2- **استدامة المراقبة:** واستحضار اليوم الآخر الذي ينصب فيه ميزان العدل، وتنشر فيه صحف الأعمال، ويساق الناس فيه إما إلى الجنة وإما إلى النار. فالإيمان العميق بالحياة الآخرة يجعل المؤمن دائم المراقبة لله تعالى في السر والجهر، يتقي الله تعالى في جميع أحواله، مستحضرا بقوة في جميع حركاته وسكناته قول الله تعالى: ((**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**))[البقرة:281].

3- **تقويم السلوك:** علم المؤمن واستحضاره للوقوف بين يدي الله تعالى، يؤدي به إلى الإقبال على الخير والعزم فيه، والابتعاد عن الشر والحزم فيه، فيستزيد من حسناته ويقلل من سيئاته لعلّه يأخذ صحيفته يوم القيامة بيمينه فيكون من الفائزين إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى: ((**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا**

كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ))[الحاقة:19-22].

4- **تحقيق التوازن:** بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وفهم أن الدنيا دار ابتلاء، و هي مزرعة الآخرة. والمؤمن لا تخدعه الحياة الدنيا بزخارفها ومغرياتها وشهواتها، ولكنه أيضا لا يزهد فيه إلى درجة تقعده عن العمل، فيصبح عالة على غيره، بل يبقى مجاهداً في ساحة الوسطية التي قال عنها المولى عزّ وجلّ: ((**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)) [البقرة:201]. وقوله تعالى: ((**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**))[القصص:77].

5- تعميق الإيمان بعدل الله تعالى: لأن المؤمن يعتقد أن هذه الدار الدنيا مليئة بالمنغِّصات والنقائص، وأما الدار الآخرة فهي دار الجزاء العادل يقيمه الله تعالى العادل الذي لا يظلم أبداً، ولا يجور في حكمه على أحد، كما لا يحرم أحداً من ثواب يستحقه، قال تعالى: ((**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**))[الكهف:49].